

السيارة الملقومة ، الا انها كانت مسرعة . فأسرعت اجيب ، وأنا مذهول :
— أنا سعيد !

فالتفتت الفتاة ذات الشعر الفاحم السواد نحوي لفتة زوبعية وهي تصيح :
— بل أخي سعيد .
— يعاد !
— حبيبي
— يعاد !

أو هذا ما أحسب الان انه قد جرى بيننا . أما في تلك اللحظة ، التي كانت أقصر من اللحظة ، فأنني لم أكن أسمع شيئاً ولم أكن أرى شيئاً سوى عينين خضراوين يتألق بؤبؤاهما بنور سماوي افتقدته عشرين عاما .

لقد رأيت يعاد ، عشرين عاما من يعاد دفعة واحدة ، في عينيها وفي صوتها وفي شعرها وفي قامتها . فكيف تشعر سمكة أطاحت زوبعة ، دفعة واحدة ، بتلج تراكم على سطح نهرها عشرين عاما ؟ يا تراب القطب الجنوبي قل لهم كيف يكون شعورك لو انحسرت من فوقك ثلوج الدهر دفعة واحدة ! يا لظى البراكين ارو لهم حكايتي !
ويا صخر بلادي انفجر ينبوعا !
أما أنا فأنفجرت بكاء .

فأوقفنا السيارة . فنزلت يعاد وانتقلت الى المقعد الخلفي بالقرب مني . فأخذت يدي بين يديها فوسدتها صدرها ثم وسدت رأسها كتفي فامتزجت دموعنا . وكان السائق يزغرد ببوق سيارته ويسير بها بطيئا كأننا في موكب عرس .

— سعيد ، سعيد .

— يعاد ، يعاد .

— أخيرا وجدته .

— ولن تفقدنيه أبدا .

— كيف حاله ؟

— على ما ترين ، يا يعاد !

— على ما ترين يا يعاد !

واستحوذتني رغبة جامحة في أن أصفق ، في أن أغني ، في أن أزغرد ، في أن أصرخ حتى تنهار من على صدري طبقات الخنوع والمذلة والحاجة ، والصمت ، نعم يا سيدي ، عظيم يا سيدي ، أمرك يا سيدي ! فينطلق قلبي من صدري ، حرا ، يطير ، يخلق في اجواء النسور ، ينادي على الناس : مثلكم أنا يا ناس ، شجاع مثلكم ، ومثلكم لي قدما ثابقتان على الارض وظهر مستقيم وقامة طويلة ورأس في السماء . سعيد بشجاعتي مثلكم يا ناس . يعاد الى جانبي يا عالم ! صغيرة كعصا الراعي ، جديدة كالحلم القديم !

عشت الاعوام العشرين لوحدني . عشتها عن يعاد . عشتها حتى الثمالة ، حتى القعر . شربت كأسها المر كله وحدي . فلم يبق لها منه اية قطرة . انقذتها من هذه السنوات العشرين المريرة ، فبقيت يعاد صبية في العشرين وبدون عشريني . عادت